١٠ ـ شاعرنا العالمي

ابو العتاهية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

حماقاته : روى صاحب الأغانى عن الحسن بن على قال : حدثنا محمد ابن القاسم قال : حدثنى اسماعيل بن عبد الله الكوفى قال : حدثنى عمروس صاحب الطعام ، وكان جار أبى العتاهية قال : كان أبو العتاهية من أقل الناس معرفة ، سمعت بشراً المريسى يقول له : يا أبا اسحاق لا تصل خلف فلان جارك وإمام مسجدكم فانه مشبه ، قال : كلا إنه قرأ بنا البارحة فى الصلاة « قل هو الله أحد » ، وإذا هو يظن أن المشبه لا يقرأ قل هو الله أحد

وقد ذكرنا عن مخارق فيما سبق ما جرى لأبى العتاهية معه حينما دعاه فغناه وشرب معه ثم أمر غلامه فكسر كل ما بين أيديهم من النبيذ وآلته والملاهى ، قال مخارق : فظننت أنها بعض حماقاته ، فانصرفت وما لقيته زماناً ، ثم تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى ، فدخلت فاذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداها وأدخل رأسه ويديه فيها ، وأقامها مقام القميص ، وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل ، فلما رأيته نسيت كل ما كان عندى من التم عليه والوحشة لعشرته ، وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط ، فقال : من أى شىء تضحك ؟ فقلت : أسخن الله عينك هذا أى شىء هو ؟ من بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهاد والصحابة والمجانين ؟ انزع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنه استحيا منى ؛ ثم بلغنى أنه جلس حجاماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحال فلم أره ، ثم مرض فبلغنى أنه اشتهى أن أغنيه ، فأتيته عائداً ، فخرج إلىّ رسوله يقول : إن دخلت إلىّ جددت لى حزناً ، وتاقت نفسى من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدى به

وذكر بشر بن المعتمر أنه قال يوماً لأبى العتاهية : بلغنى أنك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال : نعم ، قال له : فما أردت بذلك ؟ قال : أردت أن أضع نفسى حسبار فعتنى الدنيا ليسقط عنها الكبر ، وأكتسب بما فعلته الثواب ، وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة ، فقال له بشر : دعنى من تذليل نفسك بالحجامة ، فانه ليس بحجة لك أن تؤدبها وتصلحها بما لعلك تفسد به أمر غيرك ، أحب أن تخبرنى هل كنت تعرف الوقت الذى كان يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدم ؟ قال : لا ، قال : هل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن يخرجه على قدر طبعه مما إذا زدت فيه أو نقصت منه ضر المحجوم ؟ قال : لا ، قال : فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين

قالوا وإنه من أجل هذا وأشباهه غلب عليه هذا اللقب « أبو العتاهية » وقد أخبر ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كنى بأبى العتاهية أن كان يحب الشهرة والمجون والتمته . وأخبر محمد بن موسى بن حماد قال : قال للمهدى يوماً لأبى العتاهية أنت إنسان متحذلق ممته ، فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته وسارت له فى الناس ، قال : ويقال للرجل المتحذلق عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل شناجية ، ويقال أبو عتاهية باسقاط الألف واللام

ومن المحتمل عندى أن يكون تلقيبه بذلك من أجل ابنه عتاهية الذى روينا عنه فيما سبق بعض أخبار أبيه ، وأن تلك الأمور التى نسب اليه من أجلها هذا الحمق كان يتحامق بها لأغراض له فيها ، وقد تحمل الأغراض بعض ذوى العقول على هذا التحامق فلا يكون لهم منه بد ، كما قال الشافعى رحمه الله وقد جرى بينه وبين بعض من صحبه مجانة :

وأنزلنى طولُ النوى دارَ غربة
إذا شئتُ لاقيتُ امرأً لا أشاكلهْ
أحامقه حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ويمكن أن يكون من تلك الأغراض التى حملت أبا العتاهية على ذلك اتقاء ما كان يدبر له من ضروب الكيد ، ومحاولة الايقاع به ، وأخذه بتهمة الزندقة وما إليها ، فان ظهوره بهذا المظهر يهون من أمره ، ويجعله امرأ لا يخاف شره

ويؤيد هذا ما رواه أبو الفرج قال : أخبرنى محمد بن الصولى قال : حدثنا أبو ذكوان قال : حدثنا العباس بن رستم قال : كان

حمدويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ففزع من ذلك وقعد حجاماً

وإذا كان خوفه من حمدويه هو الذى حمله على أن يحترف هذه الحرفة التى ليست من شأنه ، لا ما تظاهر به من إرادة تذليل نفسه ، فيمكننا أن نحمل على ذلك كل تلك الحماقات التى تؤثر عنه ، ونخرجها على ذلك التحامق الذى يقصد به مداراة أهل الظلم والحمق

وقد كان أبو العتاهية يعتمد فى هذه الحياة المضطربة التى عاش فيها على ضروب من الحيلة كان يجيد تمثيلها ، ولولاها لطاحت وقيته فيمن طاحت رقابهم ممن لم تساعفهم الحيلة فى تلك البيئة ، ولأبى العتاهية فى ذلك نوادر لطيفة كان يتوصل بها إلى ما يعجز عنه غيره ، ويحوز بها القبول لدى أرباب الحل والعقد فى عصره من وجله ونسائه ، ولنختم هذا الفصل بتلك النادرة الظريفة من نوادره

ذكر أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى أن أبا العتاهية لما ألح فى أمر عتبة لأول دخوله بغداد ولم ينل منها شيئاً ، وجدها يوماً قد جلست فى أصحاب الجوهر ، فمضى فلبس ثياب راهب ، ودفع ثيابه إلى انسان كان معه ، وسأل عن رجل كبير من أهل السوق ، فدل على شيخ صائغ ، فجاء إليه فقال : إنى قد رغبت فى الاسلام على يدى هذه المرأة ، فقام معه وجمع جماعة من أهل السوق وجاءها فقال : إن الله قد ساق إليك أجراً ، هذا راهب قد رغب فى الاسلام على يديك ، فقالت هاتوه ، فدنا منها فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقطع الزنار ودنا فقبل يدها ، فلما فعل ذلك رفعت البرنس فعرفته ، فقالت تحثوه لعنه الله ، فقالوا لا تلمنيه فقد أسلم ، فقالت إنما فعلت ذلك لقذره ، فعرضوا عليه كسوة فقال ليس لى حاجة إلى هذه ، وإنما أردت أن أشرف بولائها ، فالحمد لله الذى من على بحضوركم ، وجلس فجعلوا يعلمونه الحمد وصلى معهم العصر ، وهو فى ذلك بين يديها ينظر إليها لا تقدر له على حيلة !؟

عبد المتعال الصعيدى